مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ
الأمانَةِ العامّةِ للعَتَبةِ الْحُسَيْنيّةِ الْمُقدّسَة
مُؤسّسَة عُلوم نهج البَلاغَة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الرابعة– العدد الثامن
شهر شعبان ١٤٤٠هـ– نيسان ٢٠١٩م

بين كتاب العهد للإمام علي (عليه السلام)
وكتاب الأمير لماكيافيللي
قراءة في الأسلوب والأفكار
دراسة موازنة

Between imam ali covenant (p. b. u. h.)
and Machiavelli covenant.
Reading in term of style and thoughts comparative study

أ. م. د. مسلم مالك الأسدي
م. م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

Asst. Prof. Dr. Muslim Malik Asadi
Asst. Lectur. Khaled Abdel Nabi Idan Asadi
University of Karbala/ College of Islamic Sciences

ملخص البحث

بعد التوكل على الله شرعنا بموازنة بين كتاب العهد الذي كتبه الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) لعاملهِ مالك بن الحارث الأشتر لمَّا ولاه مصراً، وكتاب الأمير لنيقولا ماكيافللي، وجدنا في بحثنا هذا من الأفكار المشتركة الكبرى بين الكتابين من بينها: أنَّ الأساليب التركيبية تكاد تكون قريبة من حيث الأطر العامة، لكنها متباينة من حيث المعاني الدقيقة فهما يشرِّعان للحاكم تشريعات من خلالها يستطيع أن يبني دولة مؤسسات كلاً حسب فلسفته ونظرته الخاصة، فكتاب العهد استند إلى تشريعات إسلامية منبعثة من روح القرآن الكريم، وكتاب الأمير مبني على نظريات وملاحظات الكاتب فهو يملي على الحاكم من خلال تجربته في الحياة وملاحظاته الدائمة وقراءته للتاريخ قراءة تكاد تكون مستفيضة، فأسقط سقطات التاريخ على كتابه بأسلوب تحذيري متفلسف جاعلاً من الأمير الحاكم والمشرع والمنفذ الأوحد، وكل شيء يدين له حتى وإن حصل على الحكم بالمكر والخديعة، فما إن يجلس على كرسي الحكم يصبح له الحق بالتصرف بجميع مقدرات الشعب؛ ومنها الأرواح والأعراض، وهذا الأسلوب اسلوب دكتاتوري نازي نهى عنه كتاب العهد فهو على النقيض من كتاب الأمير، فكتاب العهد لا يُجيز للحاكم أن ينبز ببنت شفةٍ بغير حق وينهاه عن المكر والخديعة والتعدي على حقوق الآخرين.

Abstract

After relying on Allah, I started with a comparison between Imam Ali covenant (peace be upon him) to Malik bin Harith Al- Ashta when he appointed him a governor of Egypt and Machiavelli covenant.

I found in my research one of the shared ideas between these two covenant›s that their language about to be close(similar) in term of frameworks and different in term of precise meanings. They give legislation to the governor by which a state and its institutions can be built each according to its philosophy and perspective.

Imam Ali covenant was based on Islamic legislation from the imam holy Quran and Machiavelli covenant based on the author theories and. he tells the governor through his life experience, remarks and reading his tory. so his covenant effected by history in a philosophical and warning manner, making the prince governor, legislator sole executor. And everything owes him even if he had achieved governance with astuteness as soon as he had achieved governance he will have the right to dispose people›s property including life and honour. and this is a dictator ship and Nazi style prevented by the covenant in contrast to Machiavelli covenant. Imam Ali covenant does not allow for the governor to say any word unduly and prevent him from deceit and subterfuge and infringing on the rights of others.

المُقدِمة

إنَّ الاطلاع على كتابين يربطهما إطارٌ موضوعيٌ واحد، فأول ما يتبادر إلى الذهن هو أن يجعل بين الكتابين خطًا مستقيمًا واحدًا ليضع يده على نقاط الاتصال بينهما وإحدى الدراسات التي تتبادر إلى ذهنه هي الدراسة المقارنة وهذا يستلزم في الباحث أن تتوافر فيه مجموعة من الشروط كي تكون أسس الموازنة صحيحة، منها: أن تكون لغة الكتابين مختلفة، والباحث يعرفُ اللغتين، وأن يكون الكتابان قد كُتبا بجيلين مختلفين، وكذلك أن يكون الباحث متجردًا من عواطفهِ ما أمكنهُ ذلك، وبحثنا هذا قد شمل على جميع شروط المقارنة لكنَّنا لا نملك إلا لغة كتابٍ واحدٍ منهما ألا وهو كتاب العهد الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعامله مالك بن الحارث الأشتر النخعي الكوفي (رحمه الله)، وكتاب الأمير الذي كتبه نيقولا ماكيافللي يحمل اللغة الرومانية، فاعتمدنا منه النسخة المترجمة التي هي من اعداد وتقديم الدكتور الحسيني معَّدي المطبوع في القاهرة، فشرعنا بدراسته على ضوء الموازنة لا المقارنة وأهم الكتب التي اعتمدنا عليها هو (مالك الأشتر وعهد الإمام علي (عليه السلام) لعباس الموسوي، ونهج البلاغة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وكتاب الأمير لماكيافللي، وكتاب الموازنة بين الشعراء لزكي مبارك، ودرسنا فيه على ضوء الموازنة أمور عدة:

فجاء البحث بتمهيد وثلاثة مباحث وخلاصة للبحث وهي الخاتمة.

فدرسنا في التمهيد (العهد والأمير) في اللغة والاصطلاح، وشيئًا من حياة الكاتبين، وكذلك الموازنة في اللغة والاصطلاح.

ودرسنا في المبحث الأول: موضوع الكتابين وكيفية الاختيار للأمراء.

ودرسنا في المبحث الثاني: الأسلوب المتبع في الكتابين على ضوء الموازنة.

وفي المبحث الثالث: كانت دراستنا حول الأفكار المشتركة والمتقابلة بين الكتابين، وقد قدمنا ما كان بوسعنا تقديمه فإن كان قد وصل إلى مرتبةٍ ترقى للقبول؛ فبتوفيقٍ من الله، وإن أخفقنا فمن عند أنفسنا لأننا نُخطئ ونُصيب. وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

التمهيد

العهد في اللغة: «العَهْدُ كل ما عُوهِدَ الله عليه، وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ، فهو عَهْدٌ. وأَمْرُ اليتيم من العهدِ، وكذلك كلُّ ما أَمَرَ الله به في هذه الآيات ونَهى عنه»[1]،فهو الميثاق المعقود بين اثنين، إمَّا بين العبد وربه أو بين شخصين.

ومنه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) **«عهد إليَّ النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لا يُحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»**[2] أي أوصى إليَّ وكما يخرج معناه إلى اليمين مثل قوله تعالى ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ**﴾[3] وولاية العهد جاءت من ذلك الميثاق الذي يلتزمه من ينوب عن الخليفة أو الولي ويجعله الخليفة في عُنق ولي عهده إيمانًا منه في السير على منهجه وقد سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن العهد الذي عُهد إليه في علي (عليه السلام) أن يكون ولي عهده وقد بين (صلى الله عليه وآله وسلم) إمكانية أمير المؤمنين (عليه السلام) في تأدية ما عليه من ميثاق لما يمتلكه من عقل راجح وقوة جسمانية واحتوائه للأشياء والرعية[4]، فالعهد هو الميثاق في اللغة وهذا المعنى ملازم لكلمة العهد أينما وجدت ويمكن أن نقول: تعطي هذا المعنى أينما تقع

من الكلام وإن تعددت السياقات.

العهد في الإصطلاح

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن اللغوي كثيرًا غير أن في الاصطلاح يحمل دلالة توكيدية أعمق من الوصية فكلمة العهد بحروفها ذات المخرج الصوتي الشديد تدل على الشدة والقوة في الأداء (فالعين) هي من الحروف الحلقية التي تولد من أقصى الحلق (والهاء) أبعد منها فهي هوائية شديدة وكذلك (الدال) مجهورة قوية ونكاد نجزم في أنّ اختيار هذه الحروف -العين والهاء والدال- هي لتأدية المعنى بشدة والتأكيد على تأديته، وعند النطق بهذه الكلمة -عهد- يشعر المتكلم بضغط واضح في أدائها وهذا ما يقتضي الوفاء به.

الأمير في اللغة:

على صيغة فعيل صفة مشبهة فهي توكيد لاسم الفاعل مع التقوية والمبالغة في المعنى مشتقة من الثلاثي (أمرَ)[٥] بمعنى طَلَبَ تأدية واجب ما، فالأمر يستلزم ثنائية من (أمرٌ ومأمور).

وعلى هذا فالأمر (طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء)[٦].

الأمير في الإصطلاح:

هو: الآمر المبالغ في تأدية أمره، فهو الحاكم المسلط على أمور المسلمين من جميع الاتجاهات، فترجع جميع أمور الدولة إليه ليحكمها أو يحكم فيها.

فالكتابان (العهد) و(الأمير) يحملان موضوعًا واحدًا وهما بمثابة دستور يسير عليه الحاكم ومن خلاله ينظم أموره.

كاتب كتاب العهد: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بن عبد المطلب وكفى.

المُرسَل إليه: هو (مالك بن

الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة النخعي الكوفي المعروف بـ (الأشتر))[٧]، كان (فارسًا شجاعًا شهمًا مقدامًا رئيسًا عالي النفس بعيد الهمَّة شاعرًا فهيمًا وكان من أخلص أصحاب الإمام علي (عليه السلام) ومن اشجع قادة جيشه وهب حياته للإسلام وأخلصَ لدينهِ كأعظم ما يكون الاخلاص)[٨] وكان إذا ذُكر الشجعان في الكوفة يكون طليعة الفكر.

وعن ابن أبي الحديد يصف مالكاً يقول: «كان شديد البأس جوادًا رئيسًا.. وكان يجمع بين اللين والعنف فيسطو في موضع السطو ويرفق في موضع الرفق»[٩] قضى وطرًا ليس بقليل ملازمًا لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ملازمة الشيء لظلهِ؛ فهو الفقيه الورع الحليم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، خاض مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) معارك الناكثين- أصحاب الجمل -والقاسطين- أهل صفين - والمارقين - الخوارج - وكان من خُلص أصحابه، عهد إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بولاية مصر وقد كتب إليه كتاب العهد الذي هو قيد دراستنا ولما وصل إلى أطرافِ مصر كاد إليهِ عمرو بن العاص مكيدة فدسَّ إليهِ السمَّ سنة (٣٦هـ) فقال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) قولتهُ المشهورة «**رَحِمَ الله مالكًا فقد كان مني كما كنتُ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)**».

أمّا كاتب كتاب الأمير نيقولا ماكيافللي: (ولد في فلورنسا عام ١٤٦٩م وكان والدهُ محاميًا في فلورنسا... فتلقى تعليمه المعتاد الذي يقدمُ لأولاد الطبقة البرجوازية الشريفة، تعلم اللغة اللاتينية، وأولع بالتاريخ الروماني)[١٠] حيث كان يمثل له التاريخ منهجًا يحتذيه ظنًا منه أن كل حادثةٍ تحصل لها مثيلٌ في التأريخ الروماني، في عام

١٤٩٨م حصلَ على منصب أمين (للديتشى دلاجويرا) مجلس الحرب آنذاك وبقي فيه، فكانت لهُ حظوة في التجوال في القصور الملكية في فرنسا، كان يمتلك إرادةً قوية وفلسفةً أخلاقية كبيرة، أُرسل في بعثات كثيرة، وفي حادثةٍ ما سنة ١٥١٢م سقطت جمهورية فلورنسا وتغيرت حياة ماكيافللي جذريًّا فوقف في وجههم فاستولى جنود الحلف على فلورنسا وأُلقيَ القبضُ عليه ورُميَ في السجن، وبعد خروجهِ انتقل مع أسرتهِ الى بيت أهلهِ واتجه الى التأليف فأنتجت يداه مجموعة من الكتب الفكرية والفلسفية والسياسية حتى توفي عام ١٥٢٧م [١١].

الموازنة في اللغة:

هو من وَزَنَ يَزِنُ وزْناً و(الوزن، ثقل شيء بشيء مثله... وَزنَ الشيءَ إذا قدّره... الميزان: المقدار، والعِدل، ووازنَهُ: عادلَهُ وقابلَهُ)[١٢] (وزنت الشيء وزنًا وزنة... ووازنت بين الشيئين موازنةً، ووِازنًا)[١٣]، (ويوحي المعنى اللغوي إلى أنّ الموازنة هي المقابلة أو المعادلة بين شيئين لأغراض التقوي ما لم تسم بالعدالة)[١٤] فهو يعني معرفة الثقل من الخفَّة.

الموازنة في الإصطلاح

هي أحد الفنون البلاغية و(ليست الموازنة إلا ضربًا من ضروب النقد، يتميز بها الرديء من الجيد، وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان: فهي تتطلب قوة في الأدب، وبصرا بمناحي العرب في التعبير)[١٥]. فـ(هي مقارنة المعاني بالمعاني ليعرف الراجح في النظم من المرجوح)[١٦]. وهذا لا يبتعد عن المعنى اللغوي لمفهوم الوزن، فالموازنة توازن بين نصين لتبين ما هو ثقيل بالمعاني ممتلئ بالبلاغة، وما هو دون ذلك.

المبحث الأول
موضوع الكتابين وكيفية الاختيار للأمراء

لا يخفى على القارئ الكريم موضوع كتابين، هما أشهرُ من نار على علم في السياسةِ منذُ بدء الخليقة إلى قيام الساعة، ولا تقوم أية دولة أو محافظة أو قضاء أو ناحية في المصطلح الحديث؛ من غير رئيس أو مدير حتى على مستوى الدائرة الضيقة، مثل المنطقة التي يرأسُها في أيامنا الحالية (المختار)، وأضيق من ذلك على مستوى الأسرة؛ فهناك مسؤول عنها يسمى ربُّ الأسرة، مسؤول عن إدارةِ شؤونها وإعانتها وإرشادها والبذل من أجلها والمحافظةِ عليها فلا سبيل لهُ إلا بها.

وهذهِ الإدارة تحتاج الى دستور يضع الأشياء في نصابها، وإعطاء كُلّ ذي حقٍ حقه، وتسيير أمور الدولة على وفق نظام يختاره ذلك الدستور، إن كان من الله فيعمل الحاكم وفقاً لشريعة الله، فيأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه، ويلتزم بجميع مبادئهِ ويشح بنفسهِ عما حرم الله ويتبعُ الحق وإن كان به إجحافٌ لخاصتهِ أو لنفسهِ. وإن كان الدستور وضعيًّا- كالدساتير الوضعية الحالية في جميع شعوب العالم بلا استثناء- فيحمل هذا الدستور تطبيقات، منها ما يضرُ المجتمع؛ لأن الواضع هو الإنسان غير الكامل لأن الكمال لله وحدهُ، فلابُدَ من وجود ثغرات تقلبُ الأشياء رأسًا على عقب، فيسودُ الظلم ويطمعُ المنافق بالحصول على المراتب العليا، وقد يحصل.

فالدستور ينظم العمل الحكومي والمجتمع ويوزع المهام كُلٌ حسب قدرتهِ وحسب احتياج الدولة لأفرادِ شعبها كي يؤدوا ما عليهم

ويحصلوا على حقوقهم، فتحتاج الدولة إلى (الجند) للحفاظِ عليها والدفاعِ عنها ليكون اليد الضاربة للحاكم.

وتحتاج الدولة إلى القضاة (السلطة القضائية)، وهي من أهم السلطات التي لابد من وجودها في الدولة، لإقامة العدل واستتباب الأمن، ولولاها تصبح الدولة بحكم شريعةِ الغاب.

وتحتاج الشعوب إلى (التجار) وهم رُفَّاد الدولة بالسلع المستوردة وتصدير سلعها إلى الخارج مما يؤدي ذلك إلى انتعاش خزينتها وتسيير أمورها لأنه ما لم تكُن في الدولة سيولةٌ نقدية لا يمكن لها أن تؤدي عملها.

وتحتاج إلى طبقة (العمال) وهذه الطبقة من أهم طبقات المجتمع؛ إذ لولاهم لما تدوم الحياة في الدولة منهم من يشغل إداريات الدولة وانجاز أعمالها، ومنهم أصحاب الأعمال الحُرة القائمون على ربط المجتمع بالدولة.

فلإدارة المجتمع يجب أن يتحلى الحاكم بقدرة على إيجاد هذه المنظومة المتكاملة كي يبني دولة قوية مكتفية ذاتيًّا من جهة وتحسن التعامل مع الخارج من جهة أخرى.

وكل هذهِ الاحتياجات والأعمال تحتاجُ الى تنظيم مكتوب وقانون يُلزم الجميع تأدية واجبهم، وكتابانا – العهد والأمير– هما بمثابة الدستور الحكومي الذي ينظم سير عمل الدولة بكل مرافق حياتها بصورة عامة بغض النظر عن السلبيات أو الإيجابيات، فموضوعهما واحد من حيث المبدأ والأطر العامة والنظرةُ الشاملة لموضوعيهما، فهما دستور دولة.

وسوف نرى في موازنتنا لنصوص هذين الكتابين مدى تطابق الرؤى

واختلافها، من حيث اختيار الولاة واختيار الحاشية- المقربين من الحاكم- واختيار القضاة، وعمل الرئيس وغيرها من الأمور إن شاء الله تعالى:

(١) اختيار المصلح لقيادة الدولة:

طبيعة الإنسان مجبولة على حُبِّ الخير وهذه فطرة تهواها النفوس وإن كانت ليس للخير فيها موطئ قدم، حتى الظالم ففي ذاته يُحبُ الخير لكن الشر فيه أكثر، فيكون منتصرًا على الخير، والحكم إن وليَهُ مصلحٌ؛ الخير فيه أصيل يكون مدعاة لإصلاح المجتمع وقدوةٌ يُحتذى به، كما يهوى كل انسانٍ أن يحكمهُ عادلٌ مصلح بغض النظر عن دينهِ ومعتقدهِ.

واختيار المصلح نجدهُ في كتاب العهد واضح المعالم، وأوصاف هذا الحاكم حيث أرسل الإمام علي (عليه السلام) كتابًا غير كتاب العهد، إلى أهل مصر يُبين لهم صفات الحاكم وهو مالك الأشتر (رحمه الله) وهذه الأوصاف المصلحة التي تتوافر في هذا الحاكم بقولهِ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ،... فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ،... فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي، لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ**»[١٧].

ورغم هذه الصفات التي يمتلكها مالك يرجع أمير المؤمنين (عليه السلام) ليؤكد عليه في عهدهِ بالإصلاح في قوله: «**ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ وَأَنَّ**

النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ»[18]. فيأمره (عليه السلام) ويؤكد عليه في الإصلاح، وكلامه لأهل مصر يؤكد إنَّ مالكًا هو مصلح وقد آثر فيه الإمام (عليه السلام) لهم لحرصه على بلاد المسلمين وإصلاحها.

في حين إنَّ اختيار المصلح في كتاب الأمير يختلف عنه في كتاب العهد ففي كتاب العهد وجدنا أن الإمام علي (عليه السلام) يوصي مالكًا أن يكون خادمًا للرعية وأن يَصُبَّ جُلَّ اهتمامِهِ وتفكيرِهِ في أمور الرعية لا في نفسه وتأكيده (عليه السلام) على أنّ الله سبحانه هو الرقيب عليه والمنتصر لعباده منه.

ففي كتاب الأمير نجد مغايرة تامة عن ذلك؛ فهو يريد أنْ يكون القائد أو الوزير يُفكر في إرضاءِ أميره وليس له شأن في الرعيّة متناسيًا واجبهُ الشرعي والأخلاقي والقانوني والعُرفي تجاه الناس وذلك في قولهِ: «لكي يتسنى للأمير أن يعرف وزيرًا فثمة هذه الطريقة التي لا تخفى ابداً عندما ترى الوزير يفكرُ في نفسهِ أكثر مما يفكرُ فيك ويبحث عن مصلحتهِ الخاصة في جميع أعماله فلن يكون مثل هذا الرجل وزيرًا صالحًا... بل عليه أن يُفكر في الأمير بمفردهِ ولا يعبأ بأي شيء سوى ما يخص الأمير»[19].

ومن خلال الموازنة بين النصين نرى أنَّ الأنانية تختفي بنص كتاب (العهد) والإيثار يبدو واضحًا جليًّا فيه، والتضحية من أجل اسعاد الرعيّة غير مُبطنة في النص، بينما الاستئثار في نص كتاب (الأمير) واضحًا، والوفاء للأمير فقط من دون الرعيّة وهذا من باب تمليك

الرقاب بيد الأمير.

ودلالة النص الأول- نص العهد- واضحة المعالم من خلال التفاني في اسعاد الآخرين- الناس- وليس للأمير- الحاكم- أيَّة يدٍ بها، ومراقبة الناس له أثره في كتاب العهد في قولهِ «ينظرون من أمورك» فيجعل لنظرة الناس- يقصد مراقبتهم- لحكم الحاكم اثراً يترتب عليهِ معاقبة ذلك الحاكم.

بينما نص كتاب الأمير لا يعير أيّةَ أهمية للناس وهذا واضحٌ في النص فضلًا عن البلاغةِ الرصينة الموجودة في كتاب العهد ويفتقر لها كتاب الأمير.

(٢) موقف الحاكم المصلح من الرعية:

الحاكم يُعَدُّ الأب الروحي لرعيته وكما يُقال إن (الناس على دينِ ملوكهم) فلذا يَجِبُ أن يقود الرعية من هو مصلحٌ لهم في دنياهم وآخرتهم وأن لا يحملهم على ما يرضيه ويُسخط الله (عز وجل) وأن يجازي الناس كُلًا حسب عمله كما يقول الشاعر عبد المسيح الأنطاكي[٢٠]:

لا تفتخر بعظامٍ يا أخي نَخِرَت
إن كُنتَ تُنمى إلى ماضي تعاليها
فقيمُه المرءِ ما قد راحَ يُحسِنُه[٢١]
فأنظر لِنفسكَ وأفخَر في مآتيها[٢٢]

فيجب إعطاء كل ذي حقٍّ حقه، والحفاظ على جميع الناس من المنافقين والحمقى إذ (لابُدَّ من القول إنهُ كلما كثر عدد الحمقى كان سوق النفاق أكثر رواجًا، إن المبارزة مع الأحمق والحماقة مبارزة مع النفاق أيضًا، لأنَّ الأحمق آلة بيد المنافق، إذ لا ريب في أن مكافحة الحماقة والحمقى تعتبر نزع سلاح المنافق وتركهِ أعزلًا)[٢٣] ولقد قام أمير المؤمنين (عليه السلام) بإعداد منهاج شامل متكامل لواقع المجتمع

آنذاك، وعَمِلَ على بناء المؤسسات اللازمة لتطبيق منهاجهِ فلم يؤثر فيه أحد ولم يقبل تضرع أو تملق شخص ما على حساب الحق[٢٤] وهو القائل «**وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ**»[٢٥] وهذهِ المنظومة المرسومة من قبل العدالة الإلهية لرعيّتهِ وعبادهِ منظومةٌ متكاملةٌ تحتاج إلى المنفذ الحقيقي والمصلح الواعي المُلم بصغريات الأشياء وكُبرياتها ويحتوي الأمور بذهنهِ المتَّقدِ بالعلمِ، وأن يعرف واجباتِهِ تجاه الناس بغض النظر عن معتقداتهم وهذا ما نجدهُ جليًّا في كتاب العهد إذ يقول (عليه السلام): «**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ... فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ**»[٢٦] وهذا النص يكشف استيعاب الحاكم لرعيته بجميع طبقاتهم وأن يغضَ بصره عن أخطائهم البسيطة منبهًا لهم بالعلل والنصيحة كي لا يكونوا مدعاةً لتكرار العمل، ومنهاجًا لغيرهم للسير عليه، وعدم استعمال القسوة معهم، ورحمتهُ يجب أن تكون أكبر من غضبه.

بينما نرى في كتاب الأمير نصًّا تقابُليًّا مع نص كتاب العهد إذ يقول: تحت عنوان الرأفة والقسوة وهل من الخير أن تكون محبوبًا ومهابًا: «على الأمير أن لا يكترث بوصمهِ بتهمة القسوة إذا كان في ذلك ما يؤدي إلى وحدة رعاياه وولائهم... هل من الخير أن تكون محبوبًا أو مهابًا؟ إن من الواجب أن

يخافك الناس وأن يحبوك، ولكن لمّا كان من اليسير أن تجمع بين الأمرين فإن من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك هذا إذا توجب عليك الاختيار بينهما، وقد يُقال عن الناس بصورة عامة إنهم ناكرون للجميل متقلبون مراؤون ميالون إلى تجنب الأخطاء وشديدو الطمع وهم إلى جانبك طالما أنك تفيدهم فيبذلون لك دماءهم وحياتهم وأطفالهم»[٢٧]، فهنا نرى أنَّ الحكم عقيم والحاكم لأجل كرسيه يُقتِّر على الرعيَّة ويمزق اجتماعاتهم ويقتل كل من يقف حائلًا أمام ملكهِ، فيعطي الحق للحاكم أن يستعمل جميع أنواع العنف للحفاظ على السلطة متناسيًا أو واضعًا الأخلاق الإنسانية والعرفية والاجتماعية جانباً، فهو يؤسس إلى منطق القوة، لا قوة المنطق وعند موازنتنا لهذين النصين نجد مايلي:

(أ) نص العهد يَجبر الحاكم أن يعامل الناس بالرحمةِ واللطف، ونص الأمير يعطي الخيار للحاكم أن يستعمل ما يراه مناسبًا للحفاظ على كرسي حكمهِ مع تغليب منطق القوة.

(ب) في نص العهد نرى منظومةً متكاملة لحقوق الإنسان، ونص الأمير منصبٌ على الحفاظ على كرسي الأمير، وإن وصل ذلك الى موت الرعيَّة.

(ج) كتاب العهد يوجب على الحاكم النظر لجميع الناس بعينٍ واحدة غاضًّا بصرهُ عن أعراقهم وأشكالهم ودياناتهم ومذاهبهم، وفي نص الأمير نرى حملة شعواء على الطبقات الدنيا ووصفهم (ناكرون للجميل متقلبون مراؤون... الخ). أي إنَّه حكم عليهم حتى قبل أن يرتكبوا فعلا مخالفًا للأمير.

(د) نص العهد يرسمُ من الحاكم

ذلك الأب الرحيم العطوف الذي يغضُ بصرهُ عن زلات أولاده ويرشدهم الى الطريق الصحيح، ونص الأمير لأجل مآربه يجعل من الناس دروعًا بشرية يفتدي بهم آماله.

(هـ) نص العهد يرسم مشهدًا رأسيًّا لنظام الحكم ودائرة رقابة متكاملة من الوالي إلى الحاكم الفعلي إلى الحاكم الكلي (الله سبحانه وتعالى)، ونص الأمير يجعل من هذه المنظومة واحدة لا تتجزأ وفيها حاكم واحد مُباح لهُ التصرف بجميع العباد دون رقيب، وهذهِ الصنمية التي تلبّست بجبّة الإله جعلت من جميع الناس عبيدًا للحاكم.

فالفرقُ واضحٌ من خلال تفحصّ النصين وإبداء وجهة النظر المناسبة لكُلِّ نصٍ منهما، وإعادة قراءة النصين تُعطي لهذهِ الأدلة قوتها وحقيقتها.

المبحث الثاني

الأسلوب الفني في الكتابين في ضوء الموازنة

في كلِّ عمل، نظري كان أم كتابي، أدبي كان أم علمي، هناك أسلوب لكتابته يكشف عن مدى إمكانية الكاتب والفكرة التي يريد أن يوصلها من خلال أسلوبٍ ما، يراه مناسبًا لإداء فكرتهِ وتوصيلها إلى المتلقي، لذلك قالوا [الأسلوب هو الرجل] فمن خلال الأسلوب تكون الفكرة سائغة للتلقي، وهو الذي يحدد ما إذا كانت الفكرة تحتاج إلى كثير من الكلام أو قليل، إيجازٍ أم اطناب، لذا ظهر منهجٌ حديث باسم الأسلوبية وقالوا إن الأسلوب هو (مجموعة الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي)[٢٨].

فهو (يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كُلياً باعتبار

انطباقها على تركيب خاص وبذلك يصبح كالمظهر المادي لإنتاج الأديب والصلة بينه وبين المخاطبين)[٢٩] فالكاتبُ يرسمُ فكره بأسلوبه، والأسلوب لا يمكن له الافصاح إلا من خلال أدوات لا بُدَ له منها. فبها تظهر الفكرة جليّة وهذهِ الأساليب هي مداد لقلم الأسلوب، كالاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، والشرط، والتقديم والتأخير، وغيره، منها يتركب الكلام فيظهر الرجل بأسلوبه، فهو غير ثابت تبعًا لإحساسات الكاتب- شاعر أو ناثر- وهدفهُ شد أسماع الآخرين إن كان إلقاءً، وشد أذهان القراء إن كان كتابةً، ليُكوِّن سلسلةً متصلة من الأفكار لتكوين نصٍ ما، فيُعرف كلُ كاتبٍ بأسلوبهِ لكثرة استعماله في كتاباته[٣٠] لِذا ترى أكثر الكُتَّاب بمجرد سماع نصوصهم يتبادر إلى الأذهان إنهُ لفلان من الناس من دون غيره من خلال كثرة استعماله لأدوات أسلوبه الخاصة و(تُعد الأساليب والتراكيب من العناصر المهمة في البناء، وهي طريقة الأداء الخاصة التي يسلكها الأديب ويصوغ فيها أفكاره لينقلها إلى المتلقي بعبارةٍ لغوية يقصد بها الإيضاح والتأثير)[٣١] فبعد كلُ استقراء للنصوص المراد تبيان أسلوب الكاتب فيها؛ يتضح من خلالهِ مدى قدرة الكاتب إيصال فكرته، فلا يخلو نص أدبي كان أم توضيحي، شعر أو نثر؛ من هذه الأساليب البلاغية التي ينماز بها كل فن كتابي، وسنرى ذلك في الكتابين.

(١) أسلوب الأستفهام: (هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل)[٣٢] فهو من الأساليب الطلبية الإنشائية التي تعملُ على بناء لغة الكاتب، وقد لجأ إليه أكثر الكُتّاب من شعراء وناثرين

في كتابة نصوصهم إبعادًا للمباشرة والتقريرية، فضلًا عن تأثيره في النفس[٣٣].

وللاستفهام أدوات عدة يُعرف بها، فمنها ما يكون إسمًا ومنها ما يكون حرفًا فالأسماء هي [ما، من، أيٌّ، كم، أين، كيف، متى، أيانَ] والحروف هما [هل، الهمزة][٣٤] ونرى أسلوب الاستفهام يختفي بشكله الحقيقي- الذي يصحب الحروف- في نصوص العهد، يكاد يكون اختفاءً تامًا فلم نجد سوى استفهام واحد حيث يقول الإمام (عليه السلام): «**وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم؟ فقال : صلِ بهم كصلاةِ أضعفهم وكُن بالمؤمنين رحيما**»[٣٥] وفي هذا الاستفهام تبدو التقريرية واضحة لأنه أعلم الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمور دينهم، (والمتمعن في سؤال الإمام علي (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقف عند قوله (أُصلي) فالإمام (عليه السلام) لا يطلبُ الفهم لنفسهِ وإنما يريد به تفهيم المخاطب)[٣٦] وهذا يدل على أنّ الكتاب هو وثيقة لتنفيذ الأوامر وإرشاد الضالين وتعديل الأحكام الجائرة.

في حين نرى في نصوص كتاب الأمير يشغل الاستفهام حيزًا واسعًا في أبواب الكتاب الـ (الستة والعشرين) حيث بلغ عدد الأسئلة فيه (ثلاثة وعشرون) سؤالًا ومنها ما يكون عنواناً لباب من أبواب الكتاب مثل: (لماذا لم تثر مملكة داريوس وقد احتلها الاسكندر؟) و(كيف يجب قياس قوة الإمارات كافة؟) و(وكيف ينبغي الأمير أن يسلك لينال الشهرة؟) و(كيف يجب المفر من المتملقين؟) و(لماذا أضاع أمراء إيطاليا ولاياتهم؟)[٣٧]، فضلًا عن الأسئلة الداخلية وإجاباتها،

وهـذا الأسـلوب- أسـلوب كتـاب الأمـير- يـدل عـلى أن الكاتـب يطـرح المشـكلات بأسـلوب الاسـتفهام ثـم يُجيـب عليهـا مداخـلًا بهـا الحلـول التي يراهـا مناسـبة مـن وجهـة نظـره.

وحينـما نـوازن بـين نصـوص كتـاب العهـد ونصـوص كتـاب الأمـير بأسـلوب الاسـتفهام نـرى: أنَّ كتـاب العهـد يضـع اليـد عـلى المشـكلة مباشرة ويجـد حلهـا مـن خـلال العقـل والديـن، فـلا يـرى بُـدًّا للسـؤال.

لكـن كتـاب الأمـير يـرى مشـكلات جميـع الـدول ويطرحهـا مـن خـلال الاسـتفهام ثـم يجـد لهـا حلـولًا بعقليـة تعسـفية تميـل إلى الدكتاتوريـة فقـط حفاظًـا عـلى العـرش والحكـم وإن كان ذلـك عـلى حسـاب العامـة فهـو يـرى بمنظـار ضيِّـق؛ كيـف يسـيطر الحاكـم لا كيـف ينبغـي أن يفعـل الحاكـم، وحتـى اسـتفهام كتـاب العهـد كان اسـتفهامًا تقريريًـا، فالسـائل يعـرف الجـواب ولكـن ليُعـرِّف بـه الذيـن لا يعرفـون، فـكان سـؤالهُ بـ (كيـف) الحاليـة أي (عـلى أيَّـةِ حـال) أصـلي بهـم؟.

في حـين تشـعبت الأسـئلة وكثـرت في كتـاب الأمـير؛ فتـارة يسـأل بكيـف مثـل (كيـف يمكـن أن تُحكـم- الجمهوريـات- وأن تُصـان) وتـارةً بـ (لمـاذا) مثـل (لمـاذا لم تثـر مملكـة داريـوس) وتـارةً بـ (هـل) مثـل (هـل للأمـير مثـل هـذهِ الولايـة...) وتـارةً بـ (أي) مثـل (أيُّ بـابٍ يوصـد بوجـه هـذا المحـرر) إلـخ، والموازنـة واضحـة المعـالم والدلالـة بـين النصَّـين.

(٢) أسلوب الأمر:

وهـو أسـلوبٌ بلاغـي مـن أسـاليب الإنشـاء الطلبـي ويكـون (طلـب حصـول الفعـل مـن المخاطـب عـلى وجـه الاسـتعلاء)[٣٨] ويـأتي عـلى صيـغٍ متعـددة، منهـا: (فعـل الأمـر) و(المضـارع المجـزوم بـلام الأمـر)، و (أسـماء الأفعـال)، (المصـدر النائـب

عن فعل الأمر)، (ويتسم هذا الأسلوب بالقوةِ والحماس في نبرته الخطابية لأنَّهُ يستدعي مخاطبًا يوجه إليه الأمر)[٣٩]، وهذا الأسلوب نراه في كتاب العهد جليًّا واضحًا وبجميع أركانه وصيغه فمن:

(أ) فعل الأمر: نجد كثيرًا من أفعال الأمر في كتاب العهد منها في قولهِ (عليه السلام): «**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ..**»، «**فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ..**»، «**أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ..**»، «**أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ..**»، «**الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ..**»، «**فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا.**»، «**اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ..**»، «**احْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفٍّ بَادِرَةٍ**».... الخ. فنجد الأفعال الدالة على الأمر الحقيقي الذي يأمرُ بهِ الرُّتبة العُليا الإمام علي (عليه السلام)- الرتبة الأقل منها- مالك الأشتر- كثيرةً، وكُلّ ذلك عند إمعان النظر فيها نراها تصبُ في مصلحة الرعية وإن كان الشُحُّ على الوالي.

كذلك في كتاب الأمير تتعدد أفعال الأمر في أبواب الكتاب لكنها قليلة جدًا إذا ما قيست بكتاب العهد، والأمرُ يعود إلى أن كتاب العهد هو وثيقةٌ ملزمةٌ للعمل المباشر بينما وثيقة كتاب الأمير هي دستور للمستقبل فجاءت أفعال الأمر قليلة منها (ينبغي للحاكم ألا يُجيز أبدًا قيام اضطراب...)، (ينبغي مراعاتها..)، وحتى هذه الأفعال فهي أمرها ضمني لم يكن أمرًا مباشرًا حيث لم يكن لماكيافيللي سلطةٌ في اصدار أمر على الحاكم.

(ب) المضارع المجزوم بلام الأمر: كثير من الأفعال نجدها في الكتابين تحتوي على لام الأمر مع فعل المضارع، ففي كتاب العهد نجد قوله (عليه السلام) في «**لْيَكُنْ أَحَبَّ**

الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ»، «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا»، «لْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً»، «وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ» إلخ.

فيتضمن الفعل الإلزام بالأمر وتطبيقه ونجد كل هذه الأفعال تدل على حسن المعاني من خلال الاستقراء لكتاب العهد.

وفي كتاب الأمير نجد فيه أيضًا كثيرًا من هذه الصيغة (اللام مع الفعل المضارع) مثل: «لنرجع إلى فرنسا ونفحص»، «ليعيش هناك بشخصه»، «لينتقل إلى كومودوس»، فكما أسلفنا، إنَّ أسلوب كتاب الأمير هو أسلوب مستقبلي ليس لهُ من المنعة في تطبيق أوامره؛ بالعكس من كتاب العهد.

(ج) اسم فعل الأمر: لم يكن في كتاب العهد نصيب في اسم فعل الأمر ولكن في كتاب الأمير نجد منه قوله: «عليك أن تدرك أن ثمة سبيلين للقتال».

(٣) النهي:

هو أحد أساليب الإنشاء الطلبي، ويعني (طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، فهو حقيقةٌ في التحريم كما عليه الجمهور فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور، ولهُ صيغةٌ واحدة وهي المضارع مع لا الناهية)[٤٠]، (وهذا الأسلوب ينطلق من البواعث ذاتها التي ينطلق منها أسلوب الأمر)[٤١]، فالغرض من الأمر هو فعل الشيء والإلزام بفعلهِ.. والنهي هو الكف عن فعل الشيء وبينهما تقابل واضح في الدلالة، ولا يصدران إلاّ من الذي كانت له القدرة على الأمر والنهي- يمتلك الاستعلاء على الآخرين- لتلبية الطلب إن كان أمرًا أو نهيًا وهذا الأسلوب نجده واضحًا في كتاب العهد كما في قوله (عليه السلام): «وَلَا

تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ»، «وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ»، «وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ»، «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا»، «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ»، «وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً»، «وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ» وغيرها، فنرى في هذا النهي تعدد الفعل المضارع بخلاف اللام المتصلة بالفعل المضارع (في أسلوب الأمر).

فأكثرها جاءت مع (كان) (فليكن، ليكُن) وهذا دليل على تعدد النواهي والأمور المنهيةُ عنها بينما في كتاب الأمير يقل ذلك للسبب آنف الذكر لأن كتابه يَطغى عليه أسلوب الغائب من خلال النصح والارشاد للحاكم لا للرعية.

(٤) النفي:

وهو من الأساليب الإنشائية المهمة التي كثيرًا ما يستعملها الكاتب، وهو (أسلوبٌ لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار يستعمل لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقًا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأً مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي)[٤٢] والنفي يتم من خلال أدوات يعرف بها مثل [ما، لا، لم، لن، ليس، لات][٤٣] وهذا الأسلوب استُعملَ في كتاب العهد بكثرة مثل قوله (عليه السلام): «لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ»، «وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا»، «وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ»، «وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ»، «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ»، «لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ»، «فَلَا إِدْغَالَ، وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ» ثم يستشهد بقولة تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٤٤] حيث وصف المقت عند الله والناس يوجبهُ الخلف بالوعود[٤٥]، وفي كتاب الأمير لا يقل

أسلوب النفي أهمية في نصوصهِ، فكثيرًا ما نراه في أبواب الكتاب، نكاد نجزم أنه لا يوجد باب في الكتاب لا يحتوي على أسلوب النفي ما خلا المقدمة إذ يقول: (وما زال)، (ولن أعالج الآن)، (فلن اتحدث عنهما هنا)، (لا تشتركوا في الحالة الأولى)، (ما كان يوقف أطماع الاسكندر)، (ما زال قويًّا)، (ولا يجيز أبدًا قيام اضطراب)، (لا يمكن أن يُغَيَّر أحدٌ)، (لا يتبرمون منها)، (لم يجرِ وراء هذا الصيت)، (ما كان الأمير)، (ولا يقدر أن يدافع)، (لم يعرف أبدًا)، (لا ريب في أنَّ الأمراء)، (لا يستطيع الأمير مجانبة ذلك)، (ما يحدث دوام)، (فلكيلا نقضي نهائيًّا على إرادتنا)، (لم يوجد حكيم)، (لا تتيح لهذه الفرصة)، (لا يزال بينهما النزال)، (لم تستبعد)).

هذه نتف قليلة من جميع أبواب الكتاب وما تركناه كثيرًا جدًا وبقي علينا أن ننبه لمسألة:

أنَّ أسلوب النفي يحمل في طياته تحذيرات، فوجدنا أن التحذيرات التي يحملها- أسلوب النفي- في كتاب العهد هي تحذيرات من مغبةٍ دنيوية يقع فيها الحاكم وعقوبةٍ تنتظره يوم القيامة لأن الظلم الذي يقع على الرعية من قبل الحاكم توجب العقوبة الأخروية.

بينما التحذيرات التي يحملها ذات الأسلوب في كتاب الأمير هي تحذيرات من سقوط الدولة والحاكم، لأنه يعتقد أن الحاكم يجب عليه الحفاظ على كرسيه وكفى، وإن كلف الأمر بدفع الرعية الى الهلاك.

ولقصر البحث نقتصر على هذه الأساليب فقط تاركين الأساليب الأخرى كما أنَّنا نترك أحد أشهر الأساليب ألا وهو (التقديم والتأخير) ليس تقصيرًا منا وإنما تركناه عمدًا لأننا نريد من البحث أن

يكون موضوعيًا بعيدًا عن التعصب والصنمية الفكرية، لأنَّ كتاب الأمير هو كتاب مترجم وبذلك يفتقد لكثير من المعاني الأصلية، لأن المترجم يستعمل أسلوبه الخاص في الترجمة ومن الممكن أن يأخذ الكلمة المرادفة مما يفقد الكثير من الأمور لذا تركنا أسلوب التقديم والتأخير لعدم توفر شروط الموازنة بين الكتابين في هذا الأسلوب للاعتقاد أن الترجمة لا تعطي اللفظ حقه الذي يريده الكاتب وممكن أن ترتب الأشياء حسب المعاني ولأجل ذلك نأينا بأنفسنا عنهُ.

المبحث الثالث

الأفكار المشتركة والمتقابلة بين الكتابين

كما تسالف عليه أصحاب الفكر (إنَّ أي نص أدبي يقوم على الأفكار وكيفية صياغتها، والأفكار المبثوثة في النص موضوع الدراسة كثيرة... تصلح أن تكون دستورًا لا يمكن الاستغناء عنه)[٤٦] إذا ما صُبغت بشكل يوصله لأهليّة، (ومن ناحية أخرى فعن طريق المنهج القانوني يمكن فهم العملية السياسية التي أثرت في صياغة القوانين ثم مجمل تأثير هذه القوانين على العمليات السياسية نفسها وعلى الأداء السياسي الذي يوضع القانون عادة لتنظيمه)[٤٧]، فالفكرة (هي كما تم التعبير عنها في النص الأدبي بزيادة كونها تأتي- بكل نص أدبي ومنها- في النص القرآني على مستويات، فالفكرة في النص القرآني تحمل علومًا متنوعًة وغزيرة، والإنسان يتوصل منها إلى ما يستطيعه ويقع في ضمن نطاق قابليته منها)[٤٨] كما أنَّ النصوص الأدبية تتركز على الفكرة وهي من العناصر المهمة للنص الأدبي وبالخصوص الرواية، إذ إنَّها تمثل وجهة نظر المؤلف ولم تكن واضحة أو محددة في نص،

فيتم فهمها من خلال العمل بكامله وبالإمكان معرفتها من خلال أحد شخوص العمل الأدبي- الرواية مثلًا- فيختارها الكاتب للتعبير عما يعتمل في داخله[٤٩]، وعملية البناء الفكري بكل أبعاده فهو القاعدة الصُلبة لتكوين شخصية الإنسان، وكل هذا يتبع المدرسة الفكرية التي ينتمي إِليها الأفراد[٥٠].

بعد هذه التوطئة التي قدمناها في تكوين الفكرة وكيفية صياغتها عرفنا أنها إحدى روافد الإبداع، ومناهل المعرفة، ومن غيرها لا يكون للنص قيمة، فالنص الذي يحتوي عليها يكون نصًّا ذا فائدة يستقطب المتلقين بجميع فئاتهم وثقافاتهم، وكلما كانت الفكرة سائغة للمتلقي كانت أكثر انتشارًا وأوفر حظًّا، وسوف نرى الأفكار في الكتابين إن شاء الله.

(١) الأفكار المشتركة:

يدور محور الكتابين على فكرة شمولية عامة بينهما ألا وهي كيفية الحكم. فكلاهما بإطاريهما العامين يريدان توضيح الدستور القائد. وبناء مؤسسات الدولة، وكيفية إدارة مفاصل الحكم، بغض النظر من أنّ أحدهما يكون بأسلوب الأمر والآخر بأسلوب التنويه والتحذير فهما يريدان أن يجعلا من الحاكم فارضًا سيطرته على الحكم مؤديًّا بذلك واجبه وكيفية الحرص على تثبيت حكمه.

فنجد في كتاب (العهد) أنَّ فكرة الإمرة وتقليد مقاليد الحكم لمالك الأشتر بمثابة وثيقة يؤديها، (وكل من يقرأ هذا الكتاب بعناية يجده قد أحاط بأصول الحكم كلها إجمالًا في أسلوب مشرق أخّاذ)[٥١] يستجلب النفوس.

ففي قوله (عليه السلام): «**حين ولاه مصر، جبوة خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها**» فيشترك

هذا النص بالمعنى مع نص كتاب (الأمير) بقوله: (إن الدعائم الأولى لجميع الولايات سواء جديدة أو قديمة أو مختلطة هي القوانين الصالحة والأسلحة الصالحة، ولما كان من غير الممكن أن توجد قوانين صالحة حين لا توجد الأسلحة الصالحة) فمن واجبات الأمير في كلا النصين واضحة؛ فمهمته وضع القوانين الصالحة لإدارة المجتمع مثل كيفية جباية الخراج وجهاد الأعداء.

والنص الآخر المشترك من كتاب العهد: «وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ» حيث اشترك مع كتاب الأمير في قوله: (واعلم أن كل انسان سوف يسلم بأن الأمير يكون أكثر استحقاقًا للثناء لدرجة عالية إذا كانت له جميع هذه الخصال السابقة التي تذكر في باب الخير ولكن لما كان من غير الممكن أن تكون جميعها له، أو يراعيها، لأن الظروف البشرية لا تسمح بذلك، كان من الضروري له أن يكون حكيمًا حكمة تكفي لأن يتحاش شر فضيحة تلك الرذائل التي قد تفقده الولاية، ويقي نفسه، إذا أمكن ذلك، شر تلك التي لن تفقده إياه)، في النصين نرى أن اتباع الشهوات تفقده المروءة واتخاذ القرارات الخاطئة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ» وكذلك بناء المؤسسة العسكرية التي لابد من وجودها في الدولة، ففي كتاب العهد نجد التأكيد على بناء هذه المؤسسة.

في قوله (عليه السلام): «فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ» كما يشترك معه بنفس الفكرة وهي تنظيم الجند وتجهيزهم في كتاب الأمير حيث يقول: (ولذا

ينبغي للأمير أن لا يدع التدريب العسكري يغيب عن باله وخاطره وأن يتمرن عليه في زمن السلم أكثر منه في وقت الحرب) فمن الواجب على الحاكم بناء مؤسسته العسكرية فهي تعد الدعامة الأساسية لكل بلد،ومن غير ذلك يصبح البلد عرضة للاحتلال لأنَّ كرامة البلاد ببسالة جيوشها.

فالتشكيلات العامة للمشتركات المعنوية في الكتابين كثيرة ومتباينة ومنها تقريب العامة على حساب الخاصة وإن أدى ذلك الى سخط الخاصة إذا كان يستلزم رضى العامة على الحاكم ففي كتاب العهد يقول الإمام (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ... وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ» حيث يشترك في هذا المعنى من كتاب الأمير نص ما، يجب على الأمير مجانبة أن يكون مزدريًا أو مبغضًا حيث يقول ماكيافللي: (وحين أراد أن يؤمنهم لم يرغب في أن يجعل هذا الأمر من هموم الملك الخاصة حتى يخلصه من السخط الذي قد يتولد بين النبلاء حين يجامل الشعب، ومن تبرم الشعب حين يجامل النبلاء ولذلك أقام فيصلًا ثالثًا كبح جماح النبلاء على الدوام وجامل الشعب وهو من دونهم... على الأمير أن يوقر نبلاء ولايته، ولكن عليه ألا يجعل العامة تناوئهُ)، وبهذا نرى في النصين أن حقوق العامة حينما تقدم على الخاصة ومخصصاتهم، فذلك مما يديم الحكم ويطيل من عمر الحكومة، وشعور العامة بالوطنية وحب الوطن الذي لم يروا منه

إجحافًا وإن سخطت الطبقة العليا، فإنَّ سخطهم مقابل رضا العامة ليس له أثر، فتأخيره عن النبلاء يقدمه أمام العامة، وهذا ما يرنوا إليه ويؤكد عليه الفكر الإسلامي من المساواة وعدم إظهار الطبقية بتقديم الخاصة على العامة لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «**الناس سواسية كأسنان المشط**» وهذا ما وجدناه في الاشتراك المعنوي للكتابين.

(١) الأفكار المتقابلة:

التقابل يعني الضدية وهذا ما لا نعني فيه التضاد في اللغة فنحن نريد من التضاد هنا هو تضاد الأفكار لا تضاد الألفاظ، ونستطيع أن نصطلح عليه (بالتضاد المعنوي) للأفكار المتقابلة، والاستقامة إنّما تُولد من الفكرة الصحيحة، فإذا كانت الفكرة صائبة، ولدت استقامة في المجتمع من خلال السلوك، (ولذلك فإن ما يضاد الإستقامة، يضاد طريق القيم. وتبدو هذه المضادة في معنى أي لفظ يدل على الالتواء، وإنَّ الاستقامة هي طريق السلوك إلى الكمال)[٥٢].

فكلما كانت الفكرة نابعة من أرضية صالحة بالنتيجة تؤدي إلى ثمار حسن لتؤتي أُكلها كل حين وإذا كانت العكس فلا تجدي إلا العكس والمعاني المتضادة (تعطي مفردات لغوية متفرقة أو موضوعية في جمل مفيدة أو سياقات مناسبة ثم تطلب منه- القارئ- معرفة ما يضادها ويناقضها في المعنى بالبحث عنها على غرار البحث عن المترادفات المذكورة)[٥٣] وفي النصوص الآتية حيث سنرى مدى حصول هذه التقابليات في نصوص الكتابين.

ففي كتاب العهد نجد ما يقابل أفكارًا في كتاب الأمير يجب التنويه والإشارة إليها، لأنها أصبحت أفكارًا لحكومات نكاد نجزم أنها

طُبقت بأكثر بلدان العالم لا سيما العربية، منها ما يقول الإمام (عليه السلام) في كتاب العهد آمرًا عاملهُ مالكًا الأشتر (رحمه الله) حين ولاه مصر «عِمَارَةَ بِلَادِهَا» فالإمام (عليه السلام) يأمره بعمارة البلاد، لأنّه بعمارة البلاد تُبتنى النفس الإنسانية، وببناء النفس الإنسانية يكون إصلاح المجتمع من الممكن.

وما يقابلها في كتاب الأمير نجد ماكيا فللي يقول: (وعندما تكون تلك الولايات التي قد استولينا عليها معتادة على الحياة الحرة في ظل قوانينها الخاصة فثمة ثلاثة طرق للسيطرة عليها أن يخربها الأمير....) وهذا الأسلوب التقابلي بين النصين ناتجٌ عن النفسية التي يمتلكها الكاتب كما ذكرنا أنَّ نص العهد يريد في النتيجة من عمارة البلاد هي بناء النفس الإنسانية لأن الإنسان إذا رأى تراثه يتهدم يطفح به الكيل على الأقل لرفض هذا الحكم، هذا إذا لم يناوئ الحكومة لأن الإنسان يرى في حضارتهِ التقديس متمسكًا بمبادئه، والمساس بها يخدشُ حياءهُ. لذا تكون ثورة الغضب متأججة في داخل الإنسان لما رآهُ من تعدي على حقوقه التي يرى أنها خطٌ أحمرٌ.

والتباين بين النصين واضح المعالم إذ إنَّ النصين يسيران على خطي نقيض، لا يلتقيان أبدًا فأين التهديم من البناء!! وأين التعدي من الكرامة!! وأين حفظ الحقوق من سلبها!!؟.

ومن النصوص التقابلية بين الكتابين ما نجده في كتاب العهد في قول الإمام (عليه السلام) لمالك (رحمه الله): «وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ[٥٤]، وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ

الله فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ... إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ» فالإمام (عليه السلام) في هذا القول يأمرُ مالكًا بالتواضع أمام الناس وألاّ يتكبر عليهم وأن يحذر هوى النفس ويبتعد عن التهور في الأمور.

في حين نجد في نص كتاب الأمير يقول ماكيافللي: (وإني لأعتقدُ أنَّ التهور خيرٌ من الحذر ذلك لأن الحظ كالمرأة، فإن أردت السيطرة عليها فعليك أن تغتصبها في القوة وهي بدورها تسمح بامتلاكها للرجل الشجاع لا لذلك الذي يسير بتمهل وأناة، والحظ شأنه في ذلك شأن المرأة لا يميل دائمًا إلى الشباب لأنهم أقل حذرًا وأكثر ضراوة ويمتلكونه بقحة[٥٥] وجرأة).

والتباين بين النصين واضح فكتاب الأمير يرى أن التهور والحصول على الأشياء بوقاحة وإن كان دون حق، فهو من الشجاعة ومن الممدوحات وعلى الحاكم أن يكون ذا جرأة ووقاحة في أي شيء مع الرعية، كما نرى حتى مَثَلِه، فهو من الأمثال المنحطّة، من التعدي على المرأة والتجرؤ على حقوقها، وعرضها، فهو يرى هذا التعدي من حسنات الرجل إذا ما حصل على ما يريد وإن كان بالقوة.

وهذا ما لا يرتضيه عاقل في جميع الأديان والشرائع السماوية بل وحتى الأعراف الاجتماعية، فهذا العمل يخرج الإنسان من إنسانيته ويضعه في مصاف الحيوان، همَّه علفه وحصوله على غريزته.

وفي حقوق الشعب وكيفية الإنفاق عليهم يقول الإمام (عليه السلام) في كتاب العهد لمالك (رحمه الله): «أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ ثَلَمُوا

أَمَانَتَكَ».

فكان من الواجب في هذا النص؛ على الحاكم أن يعطي شعبه ما يكفيهم لاستصلاح أنفسهم كي يشعرهم بالوطنية وإن هذا البلد الذي تكفل بمعيشتكم صار من الواجب عليكم الحفاظ عليه والدفاع عنه.

بينما نرى النص التقابلي من كتاب الأمير يقول ماكيافللي: (يجب ألا يعبأ الأمير كثيرًا حين يُعرف بالتقتير، لو أراد أن يتجنب اغتصاب رعيته، وأن يكون قادراً على حماية نفسه، وألا يصبح فقيرًا وحقيرًا، وألا يضطر إلى أن يصبح جشعًا). فأين الثرى من الثريا[٥٦]...؟ فالنصان لا يعدلان بكفة ميزان، فنص العهد يحث على الإسباغ والكرم والتكافل الاجتماعي ومسؤولية الدولة من الفرد كي تشعره بوطنيته، بينما نص الأمير على العكس من ذلك تمامًا فهو يريد أن تمتلئ خزينة الأمير بفراغ بطون الشعب، يقينًا إذا رأى الإنسان أنَّ دولته مغتصبة لحقه وجاعلته أدنى إنسانية من الحاكم، والحاكم ذا أُبهَّة وأملاك وهو- أي الشعب- يحن إلى القدّ[٥٧]. فهذا يجعل من الأنسان أن يتنصل من وطنيته لأنَّه يشعر أنه مسلوب الكرامة، ويريدون منه أن يؤدي واجباً من دون أن يعطوه حقوقه، وهذا ما نهى عنه الدين الإسلامي وجميع الديانات السماوية حتى قال الإمام علي (عليه السلام): «أعطوهم خبزًا وطالبوهم بالعبادة» فحتى العبادة التي هي واجب جعل الإسلام حقوقاً لمن يؤديها.

فالسياسة الإسلامية ناتجة من دستور إلهي لا يُجوِّز التعدي على الحقوق بغير حق، ومنهج الغرب قائم على قول [فَرّق تَسُد] وهذا مخالف للشريعة الإنسانية والفطرة

السليمة.

مما تقدم نجد أن البون شاسع بين النصين- نص كتاب العهد ونص كتاب الأمير- فهما لا يلتقيان بأي شكل من الأشكال. ونترك التحري عن النصوص الأخرى للقارئ الكريم لاختصار البحث.

الخاتمة

بعد التوكل على الله شرعنا بموازنة بين كتاب العهد الذي كتبه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعاملهِ مالك بن الحارث الأشتر (رحمه الله) لَّما ولاه مصرًا، وكتاب الأمير لنيقولا ماكيافللي، وجدنا في بحثنا هذا بعض القضايا بين الكتابين من بينها: أنَّ الأساليب التركيبية تكاد تكون قريبة من حيث الأطر العامة، لكنها متباينة من حيث المعاني الدقيقة فهما يشرِّعان للحاكم تشريعات من خلالها يستطيع أن يبني دولة مؤسسات كلاً حسب فلسفته ونظرته الخاصة، فكتاب العهد استند إلى تشريعات إسلامية منبعثة من روح القرآن الكريم، وكتاب الأمير مبني على نظريات وملاحظات الكاتب فهو يملي على الحاكم من خلال تجربته في الحياة وملاحظاته الدائمة وقراءته للتاريخ قراءة تكاد تكون مستفيضة، فأسقط سقطات التاريخ على كتابه بأسلوب تحذيري متفلسف جاعلًا من الأمير الحاكم والمشرع والمنفذ الأوحد، وكل شيء يدين له حتى وإن حصل على الحكم بالمكر والخديعة، فما إن يجلس على كرسي الحكم يصبح له الحق بالتصرف بجميع مقدرات الشعب؛ ومنها الأرواح والأعراض، وهذا الأسلوب أسلوب دكتاتوري نازي نهى عنه كتاب العهد فهو على النقيض من كتاب الأمير، فكتاب العهد لا يُجيز للحاكم أن ينبز ببنت شفةٍ بغير حق وينهاه عن المكر

والخديعة والتعدي على حقوق الآخرين.

وبعد هذه الرحلة الطويلة والنظرة الفاحصة في الكتابين- كتاب العهد وكتاب الأمير- للموازنةِ بينهما، تمخض البحث بالنتائج التالية:

(١) إنَّ كتاب العهد هو كتابٌ صادرٌ من رتبة أعلى من الحاكم الموجه إلى الوالي الذي يجب عليه الإطاعة، ففيهِ صيغة الأمر واضحة، وكتاب الأمير عبارةٌ عن كتابٍ تنظيري كُتبَ بأسلوب التحذير فلا آمريَّة ولا إلزام فيه.

(٢) كتاب العهد لا يعطي للحاكم التصرف في كُل شيء، وهو ينبذ التفرد بالسلطة والاستبداد في الرأي، وكتاب الأمير على العكس من ذلك يعطي للأمير الحق في كُل شيء من أجل الحفاظ على عرشه.

(٣) كتاب العهد يصلح أن يكون دستورًا عالميًا لجميع الأديان والشرائع والمعتقدات فهو مكتوب بأسلوب إنساني صرف، وكتاب الأمير لا يمكنه ذلك لأنَّه يخلق من الحاكم دكتاتورًا يصل به الى الألوهية.

(٤) كتاب العهد لا يفرق بين الحاكم والرعية بل يجعل من الحاكم خادمًا للرعية، وكتاب الأمير يجعل من الحاكم السلطة المشرِّعة التي من حقها أن تتصرف بمقدرات الشعب كيف تشاء بصبغةٍ فرعونية فلا يحق لهم أن يلوموا الحاكم إذا قال (أنا ربكم الأعلى) فيجعل من الرعية خدمة للحاكم.

(٥) كتاب العهد يأمر الحاكم بالتواضع والخضوع للناس ويباشر أعمالهُ بنفسهِ، بينما كتاب الأمير يجعل من الوزراء والشعب خدمة طائعين للأمير يأتونه بكل شيء وهو الآمر والناهي.

(٦) كتاب العهد يأمر الحاكم

بالتكافل الاجتماعي وتوزيع ثروات البلد على الرعية ولا يأخذ منها إلا كما يأخذ أدنى شخص في المجتمع، وكتاب الأمير يأمر الحاكم بالسخاء على نفسه والتقتير على الرعية.

(٧) كتاب العهد يأمر الحاكم ببناء دولة مؤسسات وقوة صد للدولة وعدم التعدي على حقوق الإنسان، بينما كتاب الأمير يأمر الحاكم بالاستيلاء على الضعفاء وسلب حقوقهم بل ويتآمر مع الأقوياء على الدولة الضعيفة فهو يؤصِّل إلى فكرة الاحتلال.

ومما تقدَّ تبيَّن أنَّ جميع دول العالم الحاضر الآن تعمل بكتاب ماكيافللي ولم نجد دولة واحدة تعمل بكتاب العهد بما فيها الدول الإسلامية قاطبة، فإذا تطلعنا إلى الأحكام في جميع بلدان العالم وصياغة مؤسساتها نجدها تدين لكتاب ماكيافللي، لذا أصبح العالم الآن عبارة عن شريعة غابة تحتل الدولة الأخرى وتسلبُ إحداهما الثانية وتُباع الضمائر في سوق العبيد، والدولة الكبيرة تجعل من الدول الصغيرة دُمى تحركها كيف تشاء، ولا نجد سبيلًا لتطبيق كتاب العهد في أحد البلدان، ونكاد نجزم أنَّه إذا ما طُبق كتاب العهد كدستور لدولةٍ ما فستصبح هذه الدولة، الدولة النموذجية التي كان يحلم بها أفلاطون قبل آلاف السنين، فكتاب العهد يمثل الدين الإنساني والشريعة السمحاء التي أرادها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تكون على وجه الأرض، يعيش المسلم بجنب المسيحي واليهودي والصابئي والبوذي والملحد والموحِّد وجميع المعتقدات؛ عيشة مرضية يستقبل أحدهما الآخر بإنسانيته لا بدينه، لذلك قال في أحد نصوصه (عليه السلام) عن الناس: «**إِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**».

فدساتير العالم تتبع كتاب ماكيافللي الخطوة تلو الأخرى، فلا يُجيِّرُ الأمر ويلصقوهُ في الإسلام، فالإسلام من جميع هذه الدساتير بريء، فالأحرى بالعالم أن يأخذوا هذا النبع الصافي الذي لا تكدره دلاء الخيانة لينهلوا منه ما يشاؤون للحفاظ على دمائهم وأعراضهم وممتلكاتهم وترك كل ما يخالف الإنسانية، فلا شريعة نزلت من السماء أو كُتبت بسرائر نقية ترضى باغتصاب الحقوق، فأين العالم من هذا الوِرد الصافي حتى تركوه على رفوف الاستهزاء وفيه كرامتهم وحريتهم وبخلافهِ وصل العالم إلى ما هو عليه الآن لأنَّه اتخذ من ماكيافللي مشرِّعًا لدستورهم وتركوا صاحب الإنسانية الإمام علي (عليه السلام).

ونسأل الله أن يتقبل منّا هذا القليل بكرمه، كما لا ندّعي لعملنا هذا الكمال لأنَّ الكمال لله وحده، ولكننا حسبنا اجتهدنا وعملنا ومن الله التوفيق، آملين أن يفيد غيرنا من حسناته ويعمد إلينا من يرى عيوبه لتصحيحها في قابل الأيام (ورحم الله مَن أهدى إليَّ عُيوبي).

الهوامش

(١) لسان العرب: مادة (عهد).

(٢) الأمالي: ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق): ١٣٤، يُنظر: خلاصة الكلام، لتقي الدين المقريزي ت٨٤٥هـ، تح: د.محمد عاشور، علي عاشور، ط١ مطبعة ثامن الحجج، قم: ص٢٨.

(٣) النمل: ٩١.

(٤) ينظر: البيان الجلي في أفضلية مولى المؤمنين علي، ابن رويش، دار الثقلين، بيروت ط١-١٩٩٥، ص١٧.

(٥) ينظر: التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ط٢ دار المعرفة، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٧٥.

(٦) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بروت، ٢٠٠١م ص٤٩.

(٧) الاعلام، الزركلي، دار العلم، بيروت ط٥ ١٩٨٠م ج٥ ص٢٥٩.

(٨) مجلة دراسات إسلامية، ص٣٦٧.

(٩) مالك الأشتر وعهد الإمام علي (عليه السلام) لعباس علي الموسوي، دار الأضواء- بيروت ط١ ١٩٨٧ ص ٥٩.

(١٠) الأمير، نيقولا ميكيا فللي، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط١ ٢١٠م ص٩.

(١١) ينظر: الأمير، ص(٩، ١٠، ١١).

(١٢) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم، إبن منظور، (ت٧١١هـ)، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ١٣٠٣هـ، مادة (وزن).

(١٣) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم، ١٩٧٩م، مادة (وزن).

(١٤) شعر عمر بن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف دراسة تحليل وموازنة، سهيلة مصطفى البرزنجي، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، ٢٠٠٦: ص١.

(١٥) الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣: ص٧.

(١٦) شعر عمر بن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف دراسة تحليل وموازنة، (رسالة ماجستير): ص١٠.

(١٧) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ص٣٩٩- ٤٠٠.

(١٨) نهج البلاغة، ص٤١٧.

(١٩) الأمير، ص(١٤٣و ١٤٤).

(٢٠) الشاعر عبد المسيح الأنطاكي الحلبي ولد في انطاكيا من أبوين مسيحيين ونشأ في حلب وأول من نادى بالقومية العربية وقد نظم ملحمة تكاد تكون سيرة ذاتية للإمام علي(عليه السلام) اسمها ملحمة الإمام علي (عليه السلام).

(٢١) إشارة إلى قول أمير المؤمنين (عليه السلام) «قيمَةُ كُلِّ امرِئٍ ما يُحسِنُهُ» نهج البلاغة: ٤١٧.

(٢٢) ملحمة الإمام علي(عليه السلام)، عبد المسيح الأنطاكي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١: ص٧٤٠.

(٢٣) محمد وعلي النبي والإمام، مرتضى مطهري، دار الأرشاد، بيروت، ط١، ٢٠٠٩: ص ٣٨٣.

(٢٤) ينظر: أئمتنا قادةٌ وهداة، كاظم النقيب، الفكر الأسلامي، بروت، ط٢، ٢٠١٢م: ص ٤٦٠.

(٢٥) نهج البلاغة: ص٦٧.

(٢٦) م. ن: ص٤١٧.

(٢٧) الأمير: ص١٤١- ١٤٣.

(٢٨) الأسلوب والاسلوبية نحو بديل السُني في النقد الأدبي، عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، د. ت: ص٩٠.

(٢٩) لغة الشعر عند أحمد مطر، د. مسلم مالك الأسدي، (رسالة ماجستير)، جامعة بابل، ٢٠٠٧: ص ٨٠.

(٣٠) أسلوبية البناء الشعري دراسةٌ اسلوبية في شعر سامي مهدي، أرشد محمد علي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩١: ص٨٢.

(٣١) شعر جواد شبر تجاهاته وخصائصه الفنية، سناء العوادي (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء، ٢٠١٥: ص١٤٩.

(٣٢) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ٢٠٠١م: ص٥٥.

(٣٣) ينظر: شعر جواد شبر: ص١٥٠.

(٣٤) ينظر: أساليب البلاغة عند النحويين والبلاغيين، د. قيس الآوسي، بيت الحكمة، ١٩٨٩م: ص٣١٩، لغة الشعر عند أحمد مطر: ص ٨٢، جواهر البلاغة: ص٥٥.

(٣٥) نهج البلاغة: ص ٤٣١.

(٣٦) مجلة دراسات إسلامية معاصرة: ص ٣٨٤.

(٣٧) الأمير: عناوين أبواب الكتاب التي

تبدأ بالاستفهام: ص ٦٩- ١٤٧.

(٣٨) جواهر البلاغة: ص ٤٩.

(٣٩) شعر جواد شبر: ص١٥٩، (رسالة).

(٤٠) جواهر البلاغة: ص ٥٣(بتصرف).

(٤١) لغة الشعر عند أحمد مطر: ص ٩٧ (رسالة).

(٤٢) في النحو العربي نقدٌ وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦: ص٢٤٦.

(٤٣) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦: ص ٣٩.

(٤٤) الصف: ٣.

(٤٥) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحام، منشورات النجفي، بيروت، ط١، ٢٠١٠: ص٤٣-٥٠.

(٤٦) مجلة دراسات إسلامية معاصرة: ص٣٦٨.

(٤٧) الإمام الشيرازي التنوع الإنساني المبدع، السيد محمد الشيرازي، مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠٠٢م، ط١: ص١٢١.

(٤٨) محاضرات لغة القرآن وآدابها- مقاربات معرفية-، د. أمجد الفاضل، المحاضرة الرابعة.

(٤٩) ينظر: في النقد الأدبي الحديث والمذاهب الأدبي، د. حسين الخاقاني، مكتبة الباقر، النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٠م: ص ٤٧.

(٥٠) ينظر: فلسفة الفكر الأسلامي، عبد الله اليوسف، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م: ص٧.

(٥١) فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، محمد بكر إسماعيل، مطبعة قم، ط١، ٢٠٠٦م: ص٣٢٣.

(٥٢) اللغة العربية وقيم الأصول، د. ميشيال إسحاق، دار الريحاني، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ص١٧٩.

(٥٣) الحصيلة اللغوية، د. احمد محمد المعتوق، المجلس الثقافي الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د٠ط، ١٩٩٠: ص٢٧٩.

(٥٤) الغِيَّر. بكسرٍ ففتح: تعني حادثات الدهر بتبدل الدول.

(٥٥) القَحِة: تعني الوقاحة يأخذ الشيء في القوة.

(٥٦) إشارة إلى بيت من القصيدة

الجلجلية التي قالها عمرو بن العاص في الإمام علي (عليه السلام) الذي يقول فيه:

فأين الثريا وأين الثرى

وأين معاويةٌ من علي

(٥٧) إشارة إلى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «أأرضى أن أُسمى أمير المؤمنين وحولي أطفالٌ تحنُ الى القدِّ»

روافد البحث

القرآن الكريم

١. أئمتنا قادةٌ وهداة، كاظم النقيب الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.

٢. الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس علي الفحام، منشورات النجفي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٣. أسلوبية البناء الشعري دراسةٌ أسلوبية في شعر سامي مهدي، أرشد محمد علي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٤. الأسلوب والأسلوبية نحو بديل السُني في النقد العربي، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثالثة، د. ت.

٥. الإعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

٦. الإمام الشيرازي التنوع الإنساني المبدع، السيد محمد الشيرازي، مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٧. الأمير، نيقولا ماكيافللي، دار الحرم للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٨. البيان الجلي في أفضلية مولى المؤمنين علي (عليه السلام)، عيدروس الأندونيسي (ابن رويش)، إعداد السيد مهدي الرجائي، دار الثقلين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٩. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم، ١٩٧٩م.

١٠. التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

١١. جواهر البلاغة في المعاني والبديع والبيان، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ٢٠٠١م.

١٢. الحصيلة اللغوية، د. احمد محمد المعتوق، عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٩٠م.

١٣. خلاصة الكلام في معرفة ما يجب لآل البيت النبوي (عليهم السلام)، تقي الدين المقريزي، تح: محمد عاشور- علي

عاشور، مكتبة السيدة معصومة (عليها السلام)، قم، الطبعة الأولى، ١٤٤٦هـ.
١٤. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الآوسي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٨٩م.
١٥. فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، د. محمد بكر اسماعيل، مطبعة كلها، قم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
١٦. فلسفة الفكر الإسلامي، عبد الله أحمد اليوسف، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
١٧. في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١٨. في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١٩. في النقد الأدبي الحديث والمذاهب الأدبية، د. حسن الخاقاني، مكتبة الباقر، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٢٠. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (ت ٧١١هـ)، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ١٣٠٣هـ.
٢١. اللغة العربية قيمٌ وأصول، د. ميشال إسحاق، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٢٢. مالك الأشتر وعهد الامام علي (عليه السلام)، عباس علي الموسوي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٣. محمد وعلي النبي والإمام، مرتضى مطهَّري، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٢٤. ملحمة الإمام علي (عليه السلام) أو القصيدة العلوية المباركة، عبد المسيح الأنطاكي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.
٢٥. الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
٢٦. نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام)، جمعه السيد الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

الرسائل والأطاريح

١. شعر جواد شبر اتجاهاته وخصائصه الفنية (رسالة ماجستير)، سناء فاضل العوادي، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٥م.

٢. لغة الشعر عند أحمد مطر (رسالة ماجستير)، د.مسلم مالك الأسدي، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٧م.
٣. شعر عمر بن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف دراسة تحليل وموازنة، سهيلة مصطفى البرزنجي، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.

الدوريات

١. مجلة دراسات إسلامية معاصرة، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء، العدد العاشر ٢٠١٤م.